الفصل الأول

مدخل إلى الحوار

- المبحث الأول: تعريفات ومفاهيم.
- المبحث الثاني: أهمية الحوار.
- المبحث الثالث: أهداف الحوار.

مدخل إلى الحوار

المبحث الأول

تعريفات ومفاهيم

بداية يحسن أن ندرك أن الحقائق الظاهرة. يلمسها الإنسان، وتنطق بها شواهد الكون. ولا تحتاج إلى برهان على ثبوتها أو دليل على صحتها، ولكن قد يحتاج البعض إلى حوار هادئ يبصره بهذه الحقيقة.

وحاجتنا إلى الحوار حاجة ماسة في مجالات شتى، وأهداف متعددة. وقبل التحدث عن ذلك علينا أن نتعرف إلى مواطن ورود الحوار في القرآن الكريم.

ونحن إذا تتبعنا لفظ الحوار في القرآن الكريم وجدنا: أنه قد جاء في ثلاثة مواضع:

١- في قوله تعالى: ﴿فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ [الكهف: ٣٤].

٢- وفي قوله تعالى: ﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧].

٣- وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١].

وأكثر ما جاء في القرآن من أقوال وأحداث قصصية. كان الحوار هو طريق عرضها، ولكي نعرف المقصود من كلمة «الحوار» نعرض لمفهوم كلمة (حوار) لغةً واصطلاحًا، ونفرق بينها وبين مفاهيم أخرى كالجدل، والمحاجة، والمناظرة.

والحوار في اللغة: أصله من الحور - بفتح الحاء وسكون الواو - وهو الرجوع عن الشيء، وإلى الشيء. قال لبيد:

وما المرء إلا كالشهاب وضوئه يحور رمادًا بعد إذ هو ساطع

ويقال: حار بمعنى رجع. وهم يتحاورون أي يتراجعون، وحاورته: راجعته الكلام والمحاورة: مراجعة المنطق والكلام في المخاطبة: وكلمته فما حار جوابًا[١].

قال الأخطل:

هل ربعت فتسأل الأطلالا ولقد سألت فما أحرن سؤالًا[٢]

فالحوار هو المراجعة في الكلام. قال القرطبي: «والله يسمع تحاوركما» تحاورك أي تراجعك الكلام.[٣]

ويقول الإمام الزمخشري: يحاوره أي يراجعه الكلام من حار يحور إذا رجع. وسألته فما أحار كلمة.[٤]

ومنه قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق: ١٤] أي رجع إلى ربه. ويأتي الحوار بمعنى المجاوبة. والتحاور التجاوب. ويقال: كلمته فما أحار إلى جوابًا، وما رجع إلى حويراء ولا محورة ولا حوارًا. أي: ما رد جوابا[٥].

وأحار عليه جوابه: رده وأحرت له جوابًا، وما أحرت بكلمة. والاسم من المحاورة. وفي القاموس المحيط: المحاورة: الجواب، وتحاوروا: تراجعوا الكلام بينهم، والتحاور التجاوب[٦].

ويأتي الحوار بمعنى المخاطبة، ويقول الطبري: قوله تعالى ﴿وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف: ٣٧]. وهو يخاطبه ويكلمه[٧].

(١) ابن منظور: لسان العرب، جـ ٤، ص ٢١٧، والفيروزآبادي: القاموس المحيط، جـ٢، ص ١٥.
(٢) الزمخشري: أساس البلاغة، ص ١٤٦
(٣) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، جـ ١٧، ص ٢٧٢.
(٤) الزمخشري: الكشاف، جـ٤، ص ٤٨٤.
(٥) الجوهري: الصحاح، جـ٢، ص٦٣٨.
(٦) الجوهري: القاموس المحيط، جـ٢، ص ١٦.
(٧) الطبري: جامع البيان، جـ١٥، ص٤٧.

فالخطاب أصله الكلام بين اثنين فحاوره: راجعه في المنطق والكلام في المخاطبة. وخاطبه مخاطبة: كلمه وراجعه في الكلام، وتخاطبا: تراجعا الكلام وتكالما. والخطاب ما يكلم الرجل به صاحبه.

وإن الحوار هو تراجع الكلام، والتجاوب فيه بالمخاطبة، والرد. وهذا عبر عنه القرآن الكريم في المواضع الثلاثة السابق ذكرها.

ويظهر من هذه المواضع التي جاء فيها ذكر كلمة الحوار: أن الحوار فيها هو مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين والأخذ والرد، وتراجع الكلام والمخاطبة والمجاوبة فيه.

ويمكن أن نقول بناء على هذا: إن الحوار له معان: المراجعة والتجاوب والخطاب[١].

وقد ذكر الباحثون: أن الحوار اصطلاحًا: نوع من الحديث بين شخصين أو فريقين. يتم فيه تداول الكلام بينهما بطريقة متكافئة فلا يستأثر به أحدهما دون الآخر. ويغلب عليه الهدوء والبعد عن الخصومة والتعصب.[٢]

وهو ضرب من الأدب وأسلوب من أساليبه، وحالة من التفاعل والتجاوب والمجادلة: من الجدل وهو شدة الفتل. ويقال: جدلت الحبل أجدله جدلًا إذا شددت فتله، وفتلته فتلًا محكمًا. ومنه قيل لزمام الناقة: الجديل. فالجديل هو الزمام المجدول من آدم، ومنه قول امرئ القيس:

وكشح لطيف كالجديل مخصر وساق كأنبوب السقي المذلل

والجدل: اللدد في الخصومة، والقدرة عليها[٣].

إذن أصل مادة الجدل في اللغة: تدل على الشدة والقوة: ويقصد بالجدل شدة الخصومة، واللدد مع القدرة عليها[٤].

---

(١) الأصبهاني: المفردات، ص١٥٠.

(٢) الندوة العالمية للشباب: في أصول الحوار، ط ٢، الرياض ١٤٠٨ هـ ص ١١.

(٣) الجوهري: الصحاح، جـ٤، ص ١٦٥٣.

(٤) د. يحيى زمزمي: الحوار في ضوء الكتاب والسنة، ط دار التربية، مكة المكرمة، ١٤١٤هـ ص٢٣.

أما الجدال في الاصطلاح: فهو دفع المرء خصمه قصد إفساد قوله بحجة، أو شبهه، أو يقصد به تصحيح كلامه. وهو الخصومة في الحقيقة[١].

وقال صاحب المصباح المنير بعد أن عرفه لغة: ثم استعمل على لسان حملة الشرع في تعامله الأدلة لظهور أرجحها[٢].

وقد يكون معلومًا: أن لفظ الجدل ورد في القرآن الكريم تسعًا وعشرين مرة. كلها في سياق الذم إلا في ثلاثة مواضع:

أحدها: قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

والموضع الثاني: قوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَٰدِلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

والموضع الثالث: قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا ﴾ [المجادلة: ١].

أما بقية المواضع التي ذكرت فيها كلمة الجدال في القرآن الكريم. فإما أن تكون في سياق عدم الرضا عن الجدل، وإما عدم جدواه[٣]، أو فقدانه شرطًا أساسيا في طلب الحق ويكون بغير علم أو نحوه.

أما في السنة النبوية؛ فقد بوب الأئمة في كتبهم، بما يدل على كراهية الجدل؛ لأنه في الأصل: فن الخصومة والشدة.

ومن ذلك ما رواه أبو هريرة عن رسول الله ﷺ: «المراء في القرآن كفر»[٤] وكذلك ما روته السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «تلا رسول الله ﷺ هذه الآية ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ وَمَا يَذَّكَّرُ

(١) الجرجاني: التعريفات، ص ٧٨.
(٢) المقري: المصباح المنير، ص ٣٦.
(٣) الندوة العالمية للشباب: في أصول الحوار، ص ١٢.
(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب: السنة، باب: النهي عن الجدال في القرآن، رقم (٣٩٨٧).
(رقمت الأحاديث النبوية الشريفة بترقيم (المكتبة الشاملة).

﴿إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ فقال: يا عائشة: إذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عناهم الله فاحذروهم»[١].

وروى أبو أُمَامَةَ عن رسول الله ﷺ: «ما ضل قوم بعد هُدى إلا أوتوا الجدل» ثم تلا هذه الآية: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ [الزخرف: ٥٨][٢].

فهذه الأحاديث تدل على معنى الجدل بالباطل واللدد في الخصومة.

ويبدو لنا أنه وردت نصوص في القرآن الكريم أطلقت فيها المجادلة على المحاورة ونحوها. من ذلك قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ﴾ [المجادلة: ١]. فأطلق الجدال والحوار على شيء واحد وهو مراجعة الكلام بين النبي ﷺ، وبين خوله بنت ثعلبة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

ومثله ما رواه أبو سعيد الخدري من قوله ﷺ: «ما مجادلة أحدكم في الحق يكون له في الدنيا بأشد مجادلة من المؤمنين لربهم في إخوانهم الذين أدخلوا النار»[٣].

فالحديث الشريف كما ترى قد بين أن المجادلة قد تكون في الحق وهي عندئذ مذمومة.[٤]

فالجدال لم يؤمر به، ولم يمدح في القرآن الكريم أو السنة على إطلاقه. وإنما الممدوح منه ما قيد بالحسنى أو بالحق. كما في قوله تعالى: ﴿وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥] وقوله: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ وأن الأصل في الجدل أنه مذموم ما لم يقيد.

ولعل من المفيد أن نتعرف إلى الفرق بين الحوار والجدل؛ فالحوار والجدال يلتقيان في أنهما حديث أو مناقشة بين طرفين. ولكنهما يفترقان بعد ذلك.

أما الجدال فهو في الأغلب: اللدد في الخصومة، وما يتصل بذلك. ولكن في إطار التخاصم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: تفسير القرآن، باب: منه آيات محكمات، رقم (٤١٨٣).
(٢) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: تفسير القرآن الكريم، باب: ومن سورة الزخرف، رقم (٣١٧٦).
(٣) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: الإيمان وشرائعه، باب: زيادة الإيمان، رقم (٤٩٢٤).
(٤) د. يحيى زمزمي: الحوار في ضوء الكتاب والسنة، ص٢٥، ٢٦.

بالكلام. فالجدال والمجادلة والجدل. كل ذلك ينحو منحى الخصومة. ولو بمعنى العناد والتماسك بالرأي والتعصب له.

وأما الحوار، والمحاورة، فهو مراجعة الكلام والحديث بين طرفين. ينتقل من الأول إلى الثاني ثم يعود إلى الأول وهكذا. دون أن يكون بين هذين الطرفين ما يدل بالضرورة على وجوب الخصومة[١].

وفي القرآن الكريم ما يدل على الفرق بين الحوار والجدال. حيث نجد أن القرآن الكريم يستعمل الجدال في المواضع غير المرضي عنها أو غير المجدية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ [العنكبوت: ٤٦] وقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُجَٰدِلُ فِي ٱللَّهِ بِغَيۡرِ عِلۡمٖ وَلَا هُدٗى وَلَا كِتَٰبٖ مُّنِيرٖ﴾ [الحج: ٨]. أما المحاورة فقد وردت في القرآن الكريم على أنها مراجعة الكلام وتداوله بين طرفين.

والحوار يرد في القرآن الكريم في مواطن كثيرة جدًّا، وإن لم تستعمل مادة الحوار نفسها.

فالحوار والجدال: مراجعة للكلام بين طرفين. لكن الجدل فيه لدد وخصومة وشدة وتعصب للرأي، وإلزام للطرف الآخر، وعدم بحث عن الحق. بينما الحوار مجرد مراجعة للكلام بين طرفين دون وجود خصومة أو تعصب للرأي. فالحوار والجدال بينهما عموم وخصوص[٢].

وتناولنا لمفهوم الحوار وتعريفاته واصطلاحاته يأخذنا إلى إلقاء الضوء على أهميته، وهذا ما يتناوله المبحث التالي:

---

(١) الندوة العالمية للشباب: في أصول الحوار، ص ١٢.

(٢) سناء محمود: الحوار في القرآن، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى، ١٤٢٠هـ، ص٣٠.

المبحث الثاني
أهمية الحوار

ليس من العجيب أن ينزل «الحوار» منزلة الحقيقة.

فكما أن الأصل في الكلام من جهة مضمونه هو الحقيقة، فكذلك الأصل فيه من جهة قائله هو الحوار.

وكما أنه على المتكلم الشاهد خصوصًا أن يقول الحقيقة. فكذلك على المتكلم العادي عمومًا أن يمارس الحوار.

وكما أنه على الأول أن يقول الحقيقة وحدها، فكذلك على الثاني أن يمارس الحوار وحده. وكما أنه على الأول أن يقول شيئًا غير الحقيقة. فكذلك على الثاني أن يمارس شيئًا هو الحوار[1].

وبيان هذه الحقيقة الحوارية من الوجوه الثلاثة:

أولها: أن طريق الوصول إلى الحق ليس واحدًا لا ثاني له، وإنما طرق شتى لا حد لها. لأن الحق هو نفسه على خلاف الرأي السائد ليس ثابتًا لا يتغير، بل أصله أن يتغير ويتجدد وما كان في أصله متجددًا، فلا بد أن يكون الطريق الموصل إليه متعددًا، وحيثما وجد المتعدد في الطرق، فثمة حاجة إلى قيام حوار بين المتوسلين بها.

والوجه الثاني: أن تواصل الحوار بين الأطراف المختلفة فئات أو أفرادًا؛ يفضي مع مرور الزمن إلى أن هذا الطرف أو ذاك، قد يأخذ في الانصراف عن رأيه متى تبين له عند مقارعة الحجة بالحجة، ضعف أدلته عليه؛ ثم يتجه تدريجيًّا إلى القول برأي من يخالفه أو يأخذ على العكس من ذلك، في تقوية أدلته متى تبينت له قوة رأيه، مستجليًا مزيدًا من الاهتمام به من لون مخالفه؛ حتى ينتهي هذا المخالف إلى قبوله والتسليم به وهكذا.

فإذا أنزل الخلاف منزلة الداء الذي يفرق فإن الحوار ينزل منزلة الدواء الذي يشفى منه.

---

(١) د/ طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل، ط جريدة الزمن، الرباط المغرب، د. ت، ص٤.

والوجه الثالث: أن الحوار يسهم في توسيع العقل، وتعميق مداركه؛ بما لا يوسعه ولا يعمقه النظر الذي لا حوار معه. إذ الحوار هو بمنزلة نظر من جانبين اثنين: وليس النظر من جانب واحد. كالنظر من جانبين اثنين.

فمعلوم أن العقل يتقلب بتقلب النظر في الأشياء، وأنه على قدر تقلبه يكون توسعه وتعمقه. والعقل الذي لا يتقلب ليس بعقل حي على الإطلاق.

والعقل الذي يبلغ النهاية في التغلب؛ فذلكم هو العقل الحي الكامل.

و إذا كان الأمر كذلك. لزم أن يكون تقلب العقل في حالة النظر من جانبين: ضعف تقلبه في حالة النظر من جانب واحد. فيكون عقلًا أوسع وأعمق. و إلا فإن تقلبه أكثر من هذا متى علمنا أن أدلة الجانبين لا يجتمع بعضها إلى بعض فحسب. بل يزدوج بعضها ببعض، ومعلوم أن في الازدواج من الكثرة ما ليس في الاجتماع. بحيث تزداد سعة العقل وعمقه، ودرجات كثيرة في حالة الازدواج عنهما في حالة الاجتماع[١].

إذن حاجة الإنسانية تقتضي ضرورة الحوار، ولعلنا ندرك أنه منذ وقت قريب شاع تخصص يتصل بشكل أو بآخر بالحوار هو فن العلاقات العامة، وأنشئت لدى الدوائر والمؤسسات الرسمية وغير الرسمية أجهزة خاصة بالعلاقات العامة؛ تجدها لدى دوائر الحكومات ولدى الشركات، ولدى دور النشر والصحافة.

ويمكن أن توصف المسئولية الأساسية لهذه الأجهزة بأنها حسن الاتصال بالآخرين للإقناع برأي، أو ترويج سلعة، أو تصحيح فكرة أو التمهيد لقضية.

ونظرًا لأهمية هذا الفن، والتركيز عليه؛ يمكن أن نقول: إن الحوار أمر قديم لكنه أخذ شكلًا أكثر تحديدًا أو تخصيصًا ودقة، وبذلك فهو وصف جديد لحقيقة قديمة، نستطيع إبراز أهميتها فيما يلي:[٢]

أولًا: كثرة استعمال الحوار في الكتاب والسنة، وكثرة وقوعه من الأنبياء، بل تكراره

(١) المرجع السابق: ص ٤، ٥.
(٢) الندوة العالمية للشباب: في أصول الحوار، ص ٩.

واستخدامه في التاريخ كله فلا يخلو منه زمان، ولم يستغن عنه نبي ولا عالم ولا داعية، وكما هو واقع في الدنيا فهو موجود في الآخرة كذلك، بل في الجنة والنار، ففيهما حوار وجدال ومحاجة ومخاصمة، كما ستأتي أمثلة على ذلك إن شاء الله.

ويكفي دليلًا على هذه الكثرة: أن هناك أكثر من مائتي نص من القرآن والسنة، تعرض نماذج مختلفة من الحوار.

ومن أمثلة ما يبين كثرة وقوعه من الأنبياء: إنكار قوم نوح عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه حين قالوا ما ذكره الله عنهم في قوله تعالى: ﴿ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا ﴾ [هود: ٣٢]. كما ينبغي أن يعلم: أن الحوار يرد كثيرًا وإن لم تستعمل مادته، وإنما قد تستعمل كلمة «قال» ومشتقاتها التي وردت في القرآن سبعًا وعشرين وخمسمائة مرة[1] ونحوها من الكلمات الدالة على وجود الحوار. ولا بأس من الإشارة إلى بعض نماذجه في القرآن، وباختصار وبدون ذكر الآيات لأن كثيرًا منها سيأتي إن شاء الله تعالى.

ومن نماذجه ما دار بين الله تعالى وملائكته في موضوع خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾ [البقرة: ٣٠-٣٢]. ومنها ما دار بين موسى «عَلَيْهِ السَّلَامُ» وقومه في ذبح البقرة ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا بَقَرَةً قَالُوا أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ فَافْعَلُوا مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْنُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءُ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنَّ الْبَقَرَ تَشَابَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولٌ تُثِيرُ الْأَرْضَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَا شِيَةَ فِيهَا قَالُوا الْآنَ جِئْتَ بِالْحَقِّ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُوا يَفْعَلُونَ ﴾ [البقرة: ٦٧-٧١].

(١) الندوة العالمية للشباب أصول الحوار: ص ٩.

ومنها ما دار بين الله سبحانه وتعالى و إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين طلب أن يريه كيف يحيى الموتى[١]، ومنها قصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وطلبه رؤية ربه عَزَّوَجَلَّ[٢]، وقصة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الحواريين في طلبهم المائدة[٣]، ومنها حوار صاحب الجنتين في سورة الكهف[٤]، وقصة موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الخضر في السورة نفسها[٥]، وقصة قارون مع قومه[٦]، وقصة داود مع الخصمين[٧]، وحكاية بلقيس مع قومها ومع سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ[٨] إضافة إلى حوار نوح و إبراهيم وهود وشعيب وغيرهم عليهم السلام مع أقوامهم، كما في سورة الأعراف وهود والأنبياء والشعراء ونوح وغيرها. والأمثلة كثيرة جدًّا في الكتاب والسنة، وكلها تدل على أهمية الحوار وخطورته[٩].

و إضافة إلى كثرة استعماله كما تقدم، فإن أثره الإيجابي في الواقع أكبر دليل على أهميته ودوره، فكم من كافر قد دخل الإسلام عن طريق الحوار، وكم من مبتدع ضال رجع عن بدعته بسبب الحوار والمناظرة، وكم من عاص تاب إلى ربه، ورجع إلى عقله بعد محاورته.

ومن ذلك الحوار الذي كان سببًا في إسلام عمر بن الخطاب، والحوار الذي كان سببًا في إسلام عمير بن وهب، وحوار ابن عباس مع الخوارج الذي كان سببًا في رجوع ألفين منهم عن بدعتهم.

ومن ذلك الحوارات المصيرية الحاسمة الكثيرة التي كانت سببًا في كبت الفتن، وتوحيد الكلمة، و إنهاء النزاع والخلاف مثل الحوار الذي كان بين المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعده، والذي انتهى بمبايعة أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة.

---

(١) انظر البقرة: ٢٦٠
(٢) انظر الأعراف: ١٤٣
(٣) انظر المائدة: ١١٢ -١١٣
(٤) الكهف: ٣٢-٤٣
(٥) الكهف: ٦٦- ٨٢
(٦) القصص: ٧٦
(٧) ص: ٢١
(٨) النمل: ٢٨
(٩) الندوة العالمية للشباب أصول الحوار: ص١٠.

والحوارات التي كانت بين عبد الرحمن بن عوف وأصحاب الشورى بعد وفاة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحوار أبي بكر وعمر في قتال المرتدين، وكذا حوارهما في جمع القرآن وغيرها، وهذا عدا المناظرات العلمية الكثيرة التي كانت تجري بين الصحابة أو بين العلماء في مسائل مختلفة، والتي بينت أرجح الأقوال في كثير من تلك المسائل كمناظرة ابن عباس وابن الزبير في حكم المتعة ومحاورة عائشة وعروة في رؤية النبي ﷺ لربه، مثل مناظرة الشافعي و إسحاق في كراء منازل مكة، وكذا مناظرتهما في طهورية جلود الميتة بعد دبغها، ومناظرة الإمام أحمد في خلق القرآن.

وعلى كل حال فإن أثر هذه الحوارات والمناظرات أكثر من أن يحصر، وهذا يدل على أهمية الحوار وضرورته والحاجة إلى طرح هذا الموضوع وتهذيبه ببيان أصوله وآدابه، وضوابطه وطرقه[1].

ثانيًا: إن أقوال علماء الأمة في أهمية المناظرة، وضرورة استخدامها، له صلة كبيرة بموضوع الحوار، إذ أن المناظرة قريبة من الحوار، كما سيأتي، وتشترك معه في الغاية منها وهو الوصول إلى الحق، وإظهار الصواب، لذلك تدل كلمات الأئمة على أهمية الحوار وضرورته. قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله تعالى: «فكل من لم يناظر أهل الإلحاد والبدع مناظرة تقطع دابرهم، لم يكن أعطى الإسلام حقه، ولا وفى بموجب العلم والإيمان، ولا حصل بكلامه شفاء الصدور وطمأنينة النفوس، ولا أفاد كلامه العلم واليقين»[2].

ثالثًا: لقد ظهرت في الآونة الأخيرة دعاوى باطلة، حيث يكثر المنافقون من العلمانيين وأعوانهم من طرح موضوع الحوار والدعوة إليه، بكتابة المقالات، وإجراء الندوات والتحقيقات في الصحف والمجلات، ويهدفون من وراء ذلك إلى أهداف خبيثة ماكرة، منها مثلًا: إسكات صوت الحق الذي يجاهدهم باللسان، ويغلظ عليهم بفضح مؤامراتهم، وكشف ألاعيبهم استجابة لقول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ ۚ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [التحريم: ٩] فيقصدون بالدعوة إلى الحوار

(١) د. يحيى زمزمي: الحوار آدابه وضوابطه في ضوء الكتاب والسنة، مرجع سابق، ص٣٥.
(٢) الإمام ابن تيمية: الفتاوى (٢٠/١٦٤-١٦٥).

الهادئ والأدب فيه؛ إظهار الدعاة والمصلحين بمظهر سوء الأدب والتعصب والتشنج وعدم التفاهم، في الوقت الذي يظهرون فيه أنفسهم بدعاة الحوار، والمراعين لأدب الخلاف.

ويهدفون أيضًا: إلى الوصول إلى المرحلة التي يطرحون فيها كل قضايا الشريعة للنقاش والحوار، دون التسليم أو الاعتراف بالأصول والأسس التي لا تقبل الخلاف أصلًا، ودون الرجوع إلى نصوص الكتاب والسنة أو إلى أقوال علماء هذا الدين في القديم والحديث.

ومع علمنا بأن هؤلاء العلمانيين يؤمنون ببعض الكتاب ويكفرون ببعض، فهم حين يرد عليهم مالا يرضونه أو يفضحون أو تكشف مؤامراتهم، ويبين نفاقهم، ويكشف عن سوء نواياهم وتربصهم بالإسلام وأهله، عندها يدعون إلى الحوار الهادئ، ويطرحون أدب الخلاف في الإسلام، وأدب الاجتهاد في الشريعة، وينقلون النصوص والأقوال من كتب السلف في ذلك، فهم عندئذ يؤمنون بالكتاب ويرجعون إلى هدى الإسلام.

أما حين يكتبون ويتكلمون فلا يتورعون عن الكذب والاتهام والتلفيق والطعن في الدين ونبذ العلماء والدعاة تصريحًا أو تلميحًا، دون مراعاة لأدب الحوار، أو احترام الرأي الآخر عند الاجتهاد، وأما في دعواتهم الهدامة؛ مثل الدعوة إلى فصل الدين عن الحياة، وموالاة أعداء الله، والدعوة إلى تحرير المرأة. فهم عند ذلك يعرضون عن الكتاب، ويعتبرون الرجوع إليه تخلفًا ورجعية، وأن أحكامه قد عفا عليها الزمن، ولا تناسب العصر، وأن الأحكام والفتاوى في هذا الجانب ستتغير بتغير الزمن.

رابعًا: مما يبين أهمية الموضوع أيضًا: ما يظهر في هذه العصور المتأخرة مع كثرة الخلاف من خروج الحوار بين المسلمين عن أهدافه وغاياته، وما يطرأ عليه غالبًا من سوء الأدب وحدة الكلام، وربما تطور إلى تبادل التهم والسب والشتم.

بل أصبح من سمات الحوار في كثير من الأحيان في عالمنا الإسلامي، ومن ظواهره المؤلمة: رفع الصوت والتعالي فيه والصراخ والتهويل وتحميل الألفاظ ما لا تحتمله، وإطلاق الأحكام على قائلها بالكفر والفسق والضلال والعداوة للإسلام أو التربص بالسنة وأهلها، وكذلك وصف الطرف الآخر بأوصاف لا تليق كجاهل سخيف حقير.. أو أنه ليس أهلًا للحوار، وربما قيل عنه عميل لأعداء الإسلام، وربما تعدى هذا الأمر إلى الحكم على النيات،

وما تكنه الصدور، هذا عدا الخطأ في الأمور الشكلية أو الفنية، مثل عدم اختيار الوقت والمكان المناسبين، وعدم مراعاة ظروف الطرف الآخر ونفسيته ومنزلته، أو الاستئثار بالكلام، وأخذ زمام الحديث بالقوة إلى غير ذلك من السلبيات والمساوئ التي تطرأ على الحوارات بين المسلمين والمسلمين، وربما بين أهل السنة وأهل السنة، والتي تستدعي دراسة هذا الموضوع وتأصيله، واستنباط آدابه من كتاب هذه الأمة وسنة نبيها ﷺ وتجارب علمائها ومفكريها.

خامسًا: إن هذا الموضوع له تعلق كبير بفنون أخرى مستقلة مثل «فن الجدل» وفن «البحث والمناظرة»، وقد ذكر العلماء آدابًا لتلك الفنون مما يستفاد منه في الحوار، ويحتاج إلى جمع وترتيب من جديد، كما أنه قد شاع في العصر الحديث تخصص يتصل بهذا الموضوع، وهو فن العلاقات العامة، وأنشئت لدى الدوائر والمؤسسات أجهزة خاصة بالعلاقات العامة، المسئولة الأساسية لهذه الأجهزة هي حسن الاتصال بالآخرين لإقناعهم بآراء معينة، أو تصحيح أفكارهم نحو قضية أو غير ذلك، وعلى أهمية هذا الفن والتركيز عليه في العصر الحديث، وتأليف كتب خاصة به، يمكن أن يقال إنه فن قديم، لكنه أخذ شكلًا أكثر تحديدًا أو تخصيصًا ودقة.

ولذلك فدراسة هذا الموضوع واستنباط الآداب المتعلقة به، يساعد في إثراء هذه العلوم، وفي إحياء ما اندثر من تلك الآداب التي تمثلها الأنبياء والعلماء، ومحاولة السير على نهجهم فيها: ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠].

ولعل الحديث عن أهمية الحوار قديمًا وحديثًا ومستقبلًا. يأخذنا إلى إبراز أهداف الحوار في مجال نشر الدعوة الإسلامية وتثبيت المفاهيم الصحيحة، مما سنتناوله في المبحث التالي:

المبحث الثالث
أهداف الحوار

إن معرفة أهداف الحوار، لها أهمية كبيرة في دراسة هذا الموضوع، إذ أن هدف الحوار هو ثمرته المطلوبة، وأن الهدف من الحوار يحدد موضوعاته وأساليبه وآدابه. وعليه فإن الحكم على الحوار إنما يكون بمعرفة أهدافه، لأن الأمور بمقاصدها. كما أن معرفة الأهداف هي التي تحدد مدى نجاح الحوار، لأن نجاح كل شيء متعلق بتحقيقه لأهدافه المحددة. إضافة إلى أن تحديد الأهداف هو الخطوة الأولى في كل عملية يريد أن يقوم بها الإنسان.

لذلك فلابد من تحديد أهداف الحوار، ومعرفة الغاية منه، والأهداف التي يمكن تحديدها للحوار - فيما يلي:

١- الدعوة:

أي دعوة الآخرين وإقناعهم، سواء دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، وهو هدف وغاية مطلوبة، أو دعوة الجاهلين إلى تعاليم الإسلام، أو دعوة غيرهم إلى الحق. وأقل ما يتحقق من هذا الهدف هو إقامة الحجة على الخصم، وإبراء الذمة أمام الله عَزَّوَجَلَّ. لذلك فإن الله سبحانه وتعالى قد ذكر الجدال بالتي هي أحسن ضمن وسائل الدعوة حيث قال: ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ۖ وَجَٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

قال ابن كثير: (أي من احتاج منهم إلى مناظرة وجدال فليكن بالوجه الحسن برفق ولين وحسن خطاب)[١].

وعليه فالحوار الهادئ المراعى فيه الأدب الرفيع، يمكن أن يكون مفتاحًا للقلوب، وطريقًا إلى الأفئدة، ومحققًا لنتائج كثيرة، قد يخسرها الشخص إذا لم يسلك سبيل الحوار، أو إذا لم يراع فيه الضوابط والآداب.

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم (٢/٥٩١).

وبالنظر إلى تاريخ الدعوة والدعاة من الأنبياء والصحابة والعلماء ومن سار على نهجهم، فإن الحوار قد حقق أهداف الدعوة، وكانت له آثاره الجيدة، من دخول الناس في دين الله عَزَّوَجَلَّ، أو رجوع الضالين عن ضلالهم، وغير ذلك فحقق الغايتين: استجابة الناس وتقواهم، والاعتذار إلى الله عَزَّوَجَلَّ، وهما الغايتان المذكورتان في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٦٤].

ومن المعلوم أن مهمة الداعية هي بذل الأسباب في هداية الناس، ودلالتهم إلى الخير. ولابد أن يواجه في ذلك التواءات النفوس، وخلافهم معه في الرأي، فإذا لم يكن لديه من الإلمام بآداب الحوار والاختلاف الشيء الكافي لكي يصبر ويستمر في دعوته، فقد الناس منه وهو يسعى لجمعهم وهدايتهم إلى الصراط المستقيم.

والخلاصة: أنه إذا كانت للداعية مجموعة من الطرق والوسائل يسعى من خلالها إلى نشر دعوته بين الناس، فإن عليه أن يتذكر دائمًا أن أداته الأولى المقدمة على ما سواها: هي الحوار.

٢-الوصول إلى الحق:

من أهداف الحوار الوصول إلى الحق، وترجيح أحد الآراء المطروحة، وتضييق هوة الخلاف، وتقريب وجهات النظر. فإننا نعيش في عصر كثرت فيه الخلافات مصداقًا لقوله ﷺ: «فإنه من يعش منكم فسيرى اختلافًا كثيرًا»[1]، وليست المشكلة في وجود الخلاف، فإن وجوده أمر طبعي كما قال عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١٨-١١٩] ولكن المشكلة في ما يؤدي إليه الخلاف من فرقة وتباغض وتناحر وتضارب، عندما يعجز المختلفون عن التفاهم بالمحاورة أو يغفلون عن ضرورة الالتقاء لتقريب وجهات النظر أو يقللون من قيمة الحوار، ويرون ألاَّ فائدة منه أصلًا، وهو خطأ يقع فيه كثير من المختصمين والمختلفين، ذلك هو أن يتصور كل واحد

(١) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب: اتباع سنة الخلفاء الراشدين، رقم (٤٣).

منهم أنه لا بد من إقناع الخصم بالرأي الذي يتبناه، أو لا بد من ترجيح رأيه وتخطئة رأي محاوره، وإلا فلا جدوى من الحوار ولا داعي له.

ولا يتصور أن الحوار إذا لم يحسم قضية الخلاف بترجيح رأي معين فإنه يقرب وجهات النظر، ويضيق هوة الخلاف، بل يحدد الخلاف ويحصره في حيز ضيق، ويساعد في تقارب القلوب وتفهم الأفكار، مما يكون له أثر في التماس العذر للطرف الآخر في حمله لرأيه، وخاصة إذا كان الخلاف بين العاملين في حقل الدعوة الإسلامية، فإن تفهم هذه الأمور مؤكد في حقهم. إذ إنه يؤدي إلى تحقيق وحدة الأمة المنشودة.

وكما أن الحوار يعتبر ناجحًا إذا انتهى أحد الطرفين إلى قول الطرف الآخر واتفقا على موقف واحد، فكذلك يعتبر الحوار ناجحًا أيضًا إذا توصل الطرفان إلى أن كلا القولين صحيح وسائغ، أو هو في الإطار الذي يسعه الخلاف وعندها يمكن أن يقال (اختلاف الرأي لا يفسد للود قضية).

٣- بيان الباطل:

ومن أهم غايات الحوار بيان الباطل الذي عليه الخصم، والرد على الشبهات والطعون الموجهة ضد الحق والصواب وذلك لإقامة الحجة على المخالف، ولإظهار الباطل على حقيقته حتى يحذره الآخرون، ولتستبين طرق الضلالة، وحتى يختار كل واحد أحد الطريقين عن بينة ووضوح: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْآيَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٥].

وكذلك فإن كشف الشبهات، وتفنيد الأباطيل، يزيل الغشاوة التي ربما تكون على الأعين، وكما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله: (أن كثيرًا من أهل الكتاب يبلغهم الإسلام ولكن يمنعهم من الإيمان شبهات يحتاجون إلى أجوبة عليها)[1].

وكذلك فإن كثيرًا من المختلفين يمنعهم من التسليم بالحق والرجوع إلى الصواب، شبهات وشكوك وأباطيل، تحتاج إلى جواب وتفنيد وإبطال. والحوار يحقق هذا الهدف؛ فبه يمكن إزالة كل شبهة، وتفنيد كل باطل.

---

(١) الإمام ابن تيمية: الجواب الصحيح: (٧٦/١)

وكذلك فقد عني القرآن بهذا الهدف؛ فذكر كثيرًا من شبهات غير المسلمين من أهل الكتاب والمشركين والمنافقين ورد عليها بأوضح برهان، وأقوى حجة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٣].

قال ابن كثير رحمه الله: ﴿وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ﴾ أي حجة وشبهة، ﴿إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا﴾: أي ولا يقولون قولًا يعارضون به الحق إلا أجبناهم بما هو الحق في نفس الأمر وأبين وأوضح وأفصح من مقالتهم[1] الباطل، وكشف زيفه، واستبانة سبيل المجرمين، وكذلك الرد على الشبه والأباطيل، إسكاتًا للطاعنين، وبيانًا للحائرين.

٤- تحقيق أهداف أخرى مشروعة:

فهناك مصالح أخرى وأهداف كثيرة يمكن تحقيقها عن طريق الحوار، وهي ليست رئيسة ثابتة، ولكن تتنوع وتختلف باختلاف القضايا والمحاورين: فمثلًا - قد يقصد من الحوار مع كافر ويقصد منه إظهار عزة الإسلام وقوة حجته، وذلك ليزداد المؤمنون إيمانًا ويقينًا وتمسكًا، ويكون الهدف تثبيت بعض المؤمنين على الإيمان، أو زيادة اطمئنانهم إلى الحق، ومن الأمثلة كذلك: أن يكون الحوار لهدف تعليم التلقين، كما كان في حديث جبريل الطويل، حيث كان الحوار بين جبريل والنبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان وأشراط الساعة؛ بهدف تعليم الصحابة، ولذلك قال ﷺ في آخر الحديث «فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[2] إلى غير ذلك من الأمثلة، والأهداف المشروعة التي يمكن تحقيقها بالحوار.

ولعل تناولنا النظري المتقدم في هذه المباحث الثلاثة لمفهوم الحوار وأهميته وأهدافه؛ يأخذنا إلى المزيد من التركيز حول دلالة كلمة الحوار قرآنيًا ونبويًا من خلال تناول مشروعية الحوار في القرآن الكريم والسنة المشرفة؛ مما سيتناوله الفصل الثاني بحوله تعالى.

---

(١) تفسير ابن كثير (٣/٣١٧ - ٣١٨)

(٢) صحيح مسلم كتاب الإيمان (١/٣٦) رقم ٢١.